حسن بن عبد الله آل الشيخ

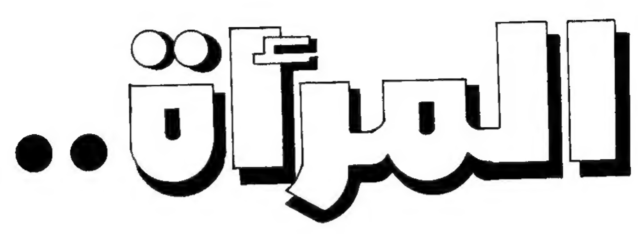
المرأة..

كيف عاملها الإسلام!



بسم الله الرحمن الرحيم

حسن بن عبد الله آل الشيخ





تحيـة متواضعة

... إننى أتلمس بهذا الحديث المقتضب عن البحث الكبير الذى استطاع صاحب المعـالى وزير التعليم العالي الأستاذ الكبير الشيخ حسن عبد الله آل الشيخ أن يجمع أطرافه في دقة ورقة متلاقيتين على صعيد مشرق بنور المعرفة وروحانية الإخلاص في هذه الرسالة القيمة التي أصر باعزازها على أنها رسالة، وأن تسميتها (محاضرة) ليس إلا تواضعاً من معاليه ، فقد جمعت فأوعت ، وواءمت بين مختلف الاتجاهات بحيث سكبت الأضواء الكاشفة حتى بلغت الشأو الرفيع في التصفية ، فحققت من عمق الباحث ورقة الهامس الجوهر الذي رمز إليه العنوان فوقفنا بوضوح وجلاء على مركز ومقام المرأة في ظل الإسلام .

أعود فأقول إننى أتلمس بهذا الحديث أداء جــزء من الواجب الكبير أمام هذا البحث القيم بين أعطاف هذه المعرفة السمحة . . المعرفة المنورة بنور الإيمان ، وما أشد الحاجة اليوم إلى العلم المنور بسر الإيمان فهذا العلم هو وحده القادر على انعكاس أشعته الصافية على تنوير القلوب ونصيحة المشاعر وتحريك اليقظة الواعية المهيئة لتذوق المعرفة عملا مثمراً ترتفع به الإيجابية إلى منازل الصلاح والإصلاح ، وقد أكد لنا واقع الحياة في مختلف مساراتها أن العلم الجاف مهما سحر بريقه الأنظار والأبصار فإنه الحجاب الكثيف عن البصائر ، فالظلام الدامس لا يغزو جوانبه إلا الفجر الصادق ، وليس الفجر الكاذب .

ولئن غمرني السرور بالمشاركة في الاستماع إلى هذا البحث من معاليه وهو يفتتح به « النادي الأدبي » في جدة ؛ فلقد كان سروري أشــد باستجابة معاليه للرغبات الجادة في إصداره في رسالة تنشر على الناس

وبخاصة طلاب المعرفة والعلم في الجامعات والمدارس ، لتكون للأذهان ، في مختلف المراحل التعليمية ، نبراساً يطلون من خلاله على الحقيقة مضيئة نابضة في غمرة هذه الزحمة حول المرأة ، فيعرفونها ، بنين وبنات ، في الموضع الكريم الذي وضعها فيه الإسلام ، فلا يشتطون مع المشتطين ، ولا يسرفون مع المسرفين ، ولا يتطرفون مع المتطرفين .

فلقد ركّز البحث عن حقيقة « قوامة » الرجال على النساء بما يترجم في مضمونه الحي عن الحرص على حفظ كيانها وتكريمها وصيانتها من كل ما يعرضها للتبذل والامتهان وذل الحاجة ، فتعيش مكفولة في حظوة الرعاية ، وبين أعطافها وإظلالها . والتكريم في هذه القوامة وبها ، إنما يريد في الواقع تبادل المودة والرحمة والرعاية ، لأن الحب والتكريم لا يلد كل منهما ولا يثمر إلا حباً وتكريماً . . ولقد مثل الرسول صلى الله عليه وسلم أروع جانب ، هو بلا شك صمام الأمان لضمان العشرة الطيبة العذبة في رحاب الزوجية حين قال صلى الله عليه وسلم : (يغلبن كل كريم ولا يغلبهن إلا لئيم) . وهذه الغلبة منهن مصدرها ضمان المرأة لسماحة الرجل ونبله وكرم أخلاقه ، فليست قهراً ولا تعسفاً ولا طيشاً ، وكل ذلك يؤكد الشمول والسعة في معنى القوامة صبراً من الرجل وإدارة حسنة طيبة في تقويم هذه الشقيقة .

هذا البحث من النفس والنبض من الحس ، فالقوامة إعطاء بمعنى القدوة ولمعنى الريادة في ظل الحديث الكريم : (كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته) . والمجتمع الإسلامي الكبير قوامه الأسرة والدعامة فيها الحياة الزوجية حين يعرف الزوجان سر القوامة ليعرفا بها طريق المسئولية ، وهذه الناحية قد سلط البحث القيم عليها في هذه الرسالة أضواء كاشفة ، رسماً وتخطيطاً ، في ظل القرآن ومبادئه وأحكامه وتشريعاته ، وإني أكثر من واثق من أن استيعاب الشباب والشواب لهذه الحقائق التي أضاء جوانبها هذا البحث الفاقه الحكيم ، هي التي تهيء بإذن الله للقضاء على كل ما يهز هذا الصرح ويعرضه للمشكلات والخلافات حيث يعلم كل من الجنسين مقامه فلا يتجاوز حده ، ولا يزحف بمعنى المساواة التي

يتذرع بها المخدوعون والمغرورون لو أنهم تذوقوا المعنى السامي الكريم في الحدود التي حددها الإسلام والقرآن للمساواة ، وإنني لأخشى على المندفعين في تغرير النساء بطلب المساواة الطائشة المتجاوزة الحدود . . أخشى أن يأتي يوم لو دام هذا التضليل أن يعود الرجال إلى المطالبة بالمساواة بالنساء ، وذلك هو رد الفعل السيء لتخطي حقائق الإسلام ومجاوزة حدوده بأحكامه وتشريعاته .

إن الوثوق الإيماني بكرامة هذا الرباط بين الزوجين في صدق نية وحسن طوية كان فيه الغناء وفيه الضمان بحسن العشرة يوم لم يكن للمال والتباهي به أية قيمة ، يوم كان الأيسر في المهور هو الأبرك دليلا على حسن النية والصفاء والثقة بدوام العشرة غاية لا وسيلة . ولقد رأينا اليوم ما جرّته بدعة التغالى في المهور ، وبدعة مؤخر الصداق تريد به الزوجة وأولياؤها ربط الزوج وتهديده بهذا المؤخر إن عزم على الطلاق أو تبينت النية على ضمان مستقبلها من مؤخر كل هذه المحدثات ، وسعت أبواب المشكلات ، ورأينا كيف يحاول المربوط بالمؤخر تعنيف الزوجة وإيذاءها حتى تفتدى نفسها وتسقط حقها من المؤخر ، ورأينا ما ينجم عن ذلك من شرور وأحقاد تضع أيدينا على أساس العلة وهى افتقاد الثقة وحسن النية من الأساس حتى تجرأ بعض الأزواج على اتخاذ هذه المواقف وسيلة للمساومة ليس على المؤخر بل على استرداد ما دفع من صداق أو حلية .!!

كل هذه النوازع تبرهن لنا على مساوىء البعد عن أسرار الزوجية الحقيقية حباً ومودة ، باعتبارهما سياج العشرة الصافية العذبة ، ولقد أتاح لي هـــذا البحث القيم في هذه الرسالة الجامعة المانعة التعليق على نص كثيراً ما كان وجهة دفاعي ونظري في موقف الكراهية الصادقة من الزوجة لزوجها هو حديث أو قصة « بريرة » تلك الجارية من جواري الحبشة التي ملكها « عتبة بن أبي لهب » عبداً من عبيد المغيرة ما كانت لترضاه لو كان لها أمرها فأشفقت عليها عائشة أم المؤمنين فاشترتها وأعتقتها ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ملكت نفسك فاختارى ، فكان زوجها يمشي خلفها ويبكي وهي تأباه ، فقال النبي صلى الله عليه

وسلم : اتقي الله فإنه زوجك وأبو ولدك . فقالت : أتأمرني ؟ قال : لا ، إنما أنا شافع . فقالت : إذن فلا حاجة لي إليه . يؤكد هذا المعنى العظيم قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح :

(المقة من الله) أي : المحبة من الله .

وإنني لا أفهم كيف يقيد البعض الكراهية في قصة « بريرة » مع « مغيث » بأنها كانت مملوكة وأن الحق لها إنما تم بعد العتق مع أن روح النص إنما تؤكد وجود القدرة على إعلان الكراهية ليس غير ، فهي وسواها بلا سابق ملك ، ثم طروء حرية سواء بسواء؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

وبعد فإنني بهذه التقدمة الوجيزة أحيي صاحب هذا البحث تحية الإكبار . . تحية الدعاء له بالتوفيق ، فإن معاليه وإن ابتعد عن بحث التعليم العالي في المملكة ، واقعاً وتاريخاً ، لصعوبته ، بالنسبة لما يحتاج إليه من عودة إلى مصادر إحصائية ، فإنه قد اختار البحث الأشق الذي طوعه بتوفيق الله ثم بسعة أفقه ، ولأنه الموقف العقدة اليوم بالنسبة لما جره علينا وعلى ديننا وعروبتنا هذا التطرف بل التهور من أولئك الذين يحاولون التسلل إلى القيم والمثل فيصنعون الهوة الفاغرة بين الرجال والنساء على غير هدى .

وختاماً أسأل الله أن يلهم الرواد والدعاة في مجال العلم والمعرفة الصدق والإخلاص في معالجة أدواء هذه الأمة .

وبالله التوفيق ...

ضياء الدين رجب

تمهيد

•• موضوع حديثي هذا هو التعرف على كيفية معاملة ديننا الإسلامي العظيم للمرأة . .

هل هو ظالم لها ، ومحطم لطموحها ، وحاجز لها من الإسهام في حياتها والتأثير فيها ؟ أم هو معل لمنزلتها ، وحافظ لكرامتها ، وصائن لها عن الابتذال والتردي ؟ .

وهذا الموضوع – كما تعلمون – واسع الأبعاد طويلها .. لكنني سأحاول الاختصار والإيجاز ، ضناً بوقتكم ، وراغبا إلى غيرى ممن هو أقدر مني أن يتحدث عنه بأوسع مما فعلت لأنه يستحق الإعادة ، ويحتاج إلى الشمول ؛ وينبغي أن يكون أمره واضحاً لكل الناسين أو الغافلين أو المخدوعين .

المـــــرأة
في
العصور القديمة

• لم تكن المرأة في عصر من عصور التاريخ السحيقة في المكانة التي تليق بها ، وكانت الأمم تتفاوت في درجة تجاهلها لها وإهدارها حقوقها وآخرها أمة العرب قبل الإسلام حيث كانوا يئدون البنات خشية العار ، ولئلا يطعموا معهم ، وذاك أمر شديد القسوة ، أن يعمد الأب إلى دفن ابنته حية حيث تقضي نحبها تحت أنقاض الرمال المتداعية بفعل أقرب الناس إليها .

قال تعالى عن ذلك : « وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ، يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِى التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ »(١) .

وبعث الله سيدنا محمداً عليه أفضل الصلاة والسلام بدعوته العظيمة الاصلاحية فأوقف سلسلة المظالم التي تواجهها المرأة ، وحدد لها مكانها الطبيعي ، وأعلن أنها والرجل في دين الله سواء ، وأنزل الله عليه كتابه العظيم الذي يعلن في وضوح وفي أكثر من موضع هذه الحقيقة المشرقة .

قال تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً »(٢) .

---

(١) الآيتان ٥٨ – ٥٩ من سورة النحل .

(٢) الآية ١ من سورة النساء

والخطاب للناس (خطاب) لذكورهم وإناثهم .

وقال تعالى : « مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »(٣) .

ويوم القيامة ينادى الرجال وزوجاتهم من الصالحين « ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ »(٤) .

وبعد أن كانت سنة العرب قبل الإسلام أن لا يؤول إلى النساء من ميراث الرجال شيء وكانوا يقولون (لا يرثنا إلا من يحمل السيف ويحمي البيضة) فإذا مات الرجل ورثه ابنه ، فإن لم يكن فأقرب من وجد من أوليائه أباً كان أو أخاً أو عماً .

جاء الإسلام فرفع هذا الظلم عن النساء .

قال تعالى : « لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا »(٥) .

ثم تتالت المواقف الإنسانية الراحمة من نبيّ الأمة بالمرأة في كل مراحلها.. حدث الإمام البخاري عن سعد ابن أبي وقاص قوله : (مرضت بمكة مرضاً أشفيت منه على الموت فأتاني النبي صلى الله عليه وسلم يعودني . فقلت : يا رسول الله ، إن لي مالا كثيراً وليس يرثني إلا ابنتي . أفأتصدق بثلثي مالي ؟. قال لا . قلت فالشطر ؟ . قال : لا . قلت الثلث ؟ قال : الثلث ، والثلث

(٣) الآية ٩٧ من سورة النحل .
(٤) الآية ٧٠ من سورة الزخرف .
(٥) الآية ٧ من سورة النساء .

كثير ، إنك إن تركت ولدك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس . وإنك لن تنفق نفقة إلا أجرت عليها . حتّى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك) .

وقال تعالى : « وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوف وَلِلرِّجَال عَلَيْهِنَّ دَرَجَة »(٦) .

وهى درجة الرعاية والقوامة والحماية ، لا يتجاوز بها جحود حقها أو إهدار كرامتها . وفي حديث مسلم عن أسماءَ بنت يزيد الأنصارية : أنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه فقالت : بأبي وأمي أنت يا رسول الله . أنا وافدة النساء إليك ، إن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة . فآمنا بك وبإلهك . إنا معشر النساء محصورات مقصورات ؛ قواعدُ بيوتكم ، وحاملاتُ أولادكم ؛ وإنكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات ، وعيادة المرضى ، وشهود الجنائز ، والحج بعد الحج . وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل . وإن أحدكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مجاهداً ، حفظنا لكم أموالكم . وغزلنا أثوابكم ، وربينا لكم أولادكم ، أفنشارككم في هذا الأجر والخير ؟ فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال : هل سمعتم مسئلة امرأة قط أحسن من مسئلتها في أمر دينها من هذه ؟ فقالوا يا رسول الله! ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا . فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إليها فقال : (افهمي أيتها المرأة ، وأعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبتل المرأة لزوجها ، وطلبها مرضاته ، واتباعها موافقته يعدل ذلك كلّه) . فانصرفت المرأة وهى تهلل حتّى وصلت إلى نساء قومها من العرب ، وعرضت عليهن ما قاله لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرحن وآمن جميعهن .

وسئلت عائشة رضي الله عنها ما كان عمل النبي صلى الله عليه وسلم في بيته ؟ فقالت (كان في مهنة أهله حتّى يخرج إلى الصلاة) . تريد أنه يعاونهن ويعمل معهن .

---

(٦) الآية ٢٢٨ من سورة البقرة .

وكانت فضليات الصحابة يخرجن في رفقة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزواته يداوين المرضى ، ويأسون الجرحى ويسقين الماء ؛ منهن أمية بنت قيس الغفارية قالت : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة بني غفار فقلنا : يا رسول الله قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا — وهو يسير إلى خيبر — فنداوي الجرحى ، ونعين المسلمين بما استطعنا فقال (على بركة الله) . وأم سينان الأسلمية جاءت إلى رسول الله وهو خارج إلى خيبر فقالت يا رسول الله : أخرج معك في وجهك هذا . أخرز السقاء ، وأداوي المريض والجريح ، إن كانت جراح — ولا تكون — وأبصر الرحل. فقال صلى الله عليه وسلم . أخرجي على بركة الله . فإن لك صواحب قد كلمنني وأذنت لهن من قومك ومن غيرهم . فإن شئت فمع قومك . وإن شئت فمعنا . قلت : معك . قال فكوني مع أم سلمة زوجتي فكنت معها — ولكثير غيرهن .

وكانت المرأة في الإسلام — كما كانت في الجاهلية — تجير الخائف وتفك العاني . فقد أجارت أم هانيء بنت أبي طالب رجلين من أحمائها كتب عليهما القتل . . وفي ذلك تقول : —

(لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة ، فر إلى رجلان من أحمائي من بني مخزوم . فأجرتهما فدخل على علي بن أبي طالب أخي فقال : والله لأقتلنهما . فأغلقت عليهما باب بيتي . ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : مرحباً وأهلا يا أم هانيء ما جاء بك ؟ . فاخبرته خبر الرجلين وخبر علي . فقال عليه الصلاة والسلام : قد أجرنا من أجرت يا أم هانيء .

وصان الإسلام سيرة المرأة ، وحمى عرضها كأكمل ما تكون الصيانة والحماية . قال تعالى في حق قاذفي المحصنات :

« وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ »(٧) .

---

(٧) الآية ٤ من سورة النور .

فجعل جل شأنه للقاذف عقوبات ثلاث : الجلد ، ثم اطراح شهادته وعدم قبولها أبداً ، والثالثة هى الحاق صفة الفسق به وهى شر الصفات وأبشعها . وفي الآية يقول تعالى :

« إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لعِنُوا فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عذَابٌ عَظِيمٌ ، يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون . يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِم الله دِينَهُمْ الْحَق وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقّ الْمُبِين »(٨) .

وجعل لها الحرية في أمرين هما أهم أمورها لديها وهما الزواج والمنزل . ليس لأحد أن يجبرها على زواج من تكره .. ولها أن ترفض مالا ترضى . وقد أشار إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله (لا تنكح الأيم حتى تستأمر ، ولا البكر حتى تستأذن) وأبطل النبي صلى الله عليه وسلم زواجاً أكرهت فيه فتاة بكر على الزواج بأمر أبيها لمصلحة له في زواجها بابن أخيه . حدثت عائشة رضى الله عنها فيما رواه النسائي : (أن فتاة دخلت عليها فقالت : إن أبي زوجني من ابن أخيه يرفع لي خسيسته وأنا كارهة . فقالت : اجلسي حتى يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء الرسول صلى الله عليه وسلم فأخبرته . فأرسل إلي أبيها فدعاه . فجعل الأمر إليها . فقالت يا رسول الله: قد أجزت ما صنع أبي . ولكني أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء) ! وقصة « بريرة » وهى جارية من جواري الحبشة ملكها عتبة ابن أبي لهب وزوجها عبداً من عبيد المغيرة ما كانت لترضاه لو كان لها أمرها ، فأشفقت عليها عائشة أم المؤمنين فاشترتها وأعتقتها . فقال لها رسول الله : ملكت نفسك فاختاري ، وكان زوجها يمشي خلفها ويبكي وهى تأباه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : ألا تعجبون من شدة حبه لها وبغضها له . ثم قال لها : إتقي الله فإنه زوجك وأبو ولدك . فقالت :

---

(٨) الآيات ٢٣ ـ ٢٤ ـ ٢٥ من سورة النور .

أتأمرني ؟ قال : لا ، إنما أنا شافع : فقالت : إذا فلا حاجة لي إليه) . ولها مطلق الحرية في مالها دون نزاع أو تسلط . وكان من شأن العرب في جاهليتهم أن الرجل إذا مات عمد أخص أوليائه وأقرب ورثته فوضع ثوبه على امرأته . وقال : أنا أحق بها . ثم إن شاء تزوجها وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها ، وإن شاء عضلها لتفتدي نفسها بما ورثت عن زوجها . فجاء الإسلام محرماً لذلك ، ومنصفاً للمرأة ومطلقاً لحريتها في قوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا »(٩) .

وقال تعالى مخاطباً الأزواج في معرض منحه حرية المرأة لها :

« وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ »(١٠) .

فأصبح حراماً على الرجل أن يستبقيها على كره منها ، وإعنات منه لتفتدي نفسها بما بقي من صداقها إلا إذا أتت بفاحشة مبينة فتلك ليس لها حق تطالب به ولا تتنازل عنه .

---

(٩) الآية ١٩ من سورة النساء .

(١٠) ١٩ من سورة النساء .

مفهوم العناية الصادقة بالمرأة

• إن الحديث عن عناية الإسلام بالمرأة وإنزالها مكانتها التي تليق بها حديث لا ينتهي أبداً ، ولا يمكن أن يتجاهله من له أدنى بصيرة بكتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام . ولو أردت المضي في إيضاح الدلائل والشواهد لشققت عليكم ، لكنني سأعود فيما يشبه الإيجاز إلى جمع شتات هذا الأمر الذي يحتاج إلى طرقه من جميع جوانبه ، عناية بدين الله المحتوي على الفضائل ، ودفعاً لأبنائنا وأحفادنا على الثقة بدينهم ، والفخر بالانتساب إليه ، والقدرة على الدفاع عنه ، فهو قد احتفى بالمرأة وحمي واقعها في كل أدوار حياتها . . احتفى بها في بداية حياتها وهى (ابنة) فعاب وحرم الوأد للبنات في قوله تعالى :

« قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ »(١١) .

وكان قيس بن عاصم المنقري يتحدث بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم عن ضحاياه من الموؤودات وأنه ذهب باثنتى عشرة منهن ؛ فقال عليه الصلاة والسلام : (من لا يرحم لا يرحم) وأمره أن يعتق بكل واحدة جارية مؤمنة . وكان العرب يأنفون أن يداعب الرجل وليدته أو يسمح لها أن تمرح بين يديه . ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يداعب الولائد من بناته وبنات أصحابه . فقد حدث البخاري عن أبي قتادة قال : خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمامه بنت أبي العاص على عاتقه ، فصلى فإذا ركع وضعها ،

(١١) الآية ١٤٠ من سورة الأنعام .

وإذا رفع رفعها . وقالت عائشة رضي الله عنها : جاءتني امرأة معها ابنتاها تسألني . فلم تجد عندي غير تمرة واحدة فأعطيتها ، فقسمتها بين ابنتيها . ثم قامت فخرجت ، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال : « من ابتلى من هذه البنات بشيء كن له ستراً من النار » . وقال عن ابنته فاطمة رضي الله عنها : « فاطمةبضعة مني يسوءني ما يسوؤها ويسرني ما يسرها . » وقال الزهري : كانوا – يريد أصحاب رسول الله – لا يرون على صاحب ثلاث بنات صدقة ولا جهاداً لحاجتهن إليه وشغله بهن ، والعناية بتربيتهن . واحتفى بها وأكرمها (زوجة) . قال تعالى :

« وَمِنْ آيَاتِهِ ، أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون »(١٢) .

وأوضح نوعية التلاقي بين الزوجين حيث يقول :

« وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوف »(١٣)

وقال عليه الصلاة والسلام : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي » . وأذن عليه الصلاة والسلام لفتيان الحبشة فلعبوا بحرابهم بين يديه في المسجد . ودعا عائشة رضي الله عنها فوطأ لها عاتقه ، وحاط وجهها بيده ، ومكنها من مشاهدتهم حتى سئمت . وروى ابن عبد ربه عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فقال : « أهديتم الفتاة إلى بعلها » ؟ قالت : نعم . قال : فبعثتم معها من يغني ؟ قالت : لا . قال : أو ما علمت أن الأنصار قوم يعجبهم الغزل ؟ ألا بعثتم معها من يقول :

---

(١٢) الآية ٢١ من سورة الروم .

(١٣) الآية ١٩ من سورة النساء .

أتينـــاكم أتينـــاكم فحييـــونا نحييـــكم
ولولا الحبـــة السمراء لم نحـــلل بواديكـــم

وحدث البخاري عن الربيع بنت معوذ قالت : « جاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل حين بنى على ، فجلس على فراش ، فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ، حتى قالت إحداهن . وفينا نبي يعلم ما في غد . فقال : دعى هذا ، وقولي بالذي تقولين » ونظم الخالق تعالى الصلة بين الزوجين في قوله عز شأنه :

« وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوف فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فيه خَيْرًا كَثِيرًا »(١٤) .

وهى كما ترون تحدد في جلاء الإطار الرائع الذي يجب أن يحتوي واقع الزوجين في الإسلام ومدى التزام كل منهما بالآخر ، وأن الحب وحده ليس هو مبرر استمرار الزوجية .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرجل طلق امرأته . لم طلقتها ؟ قال : لا أحبها . فقال : أكل البيوت بنيت على الحب؟ أين الرعاية والذمم؟) .

واعتنى الإسلام بها (أماً) فقرن القرآن الكريم بين حق الله تعالى وحق الوالدين في قوله :

« أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِير »(١٥) .

وقال تعالى : « وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا »(١٦) .

---

(١٤) الآية ١٩ من سورة النساء .

(١٥) الآية ١٤ من سورة لقمان .

(١٦) الآية ٨٣ من سورة البقرة .

وقوله صلى الله عليه وسلم لرجل جاء إليه فقال : يا رسول الله من أحق بحسن صحبتي ؟ قال: أُمك . قال ثم من ؟ قال : أُمك ، قال ثم من ؟ قال : أُمك . قال : ثم من ؟ : قال : أبوك . وكان صحابة رسول الله والتابعون لهم بإحسان لا ينفكون مطيعين لأمهاتهم ، محسنين إليهن . اتباعاً لأوامر الله ورسوله . ومن ذلك حديث عبد الله بن الزبير وأُمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما . وذلك بعد أن دان لعبد الله بن الزبير العراق والحجاز واليمن . ثم أخذ عبد الملك بن مروان يقاومه . فغلبه على العراق ثم جهز له الحجاج بن يوسف الذي أخذ يغلبه على أمره حتى انتهى إلى مكة المكرمة فطوقها ،ونصب المجانيق على الكعبة المشرفة ،وأهوى بالحجارة عليها. وفي الكعبة يومئذ أسماء بنت أبي بكر . وكان عبد الله يقاتل جند الحجاج مسنداً ظهره إلى الكعبة وليس حوله إلا القليل من رجاله . والحجاج يرسل له من يمنيه الخير ويعده بالأمان لو بسط يده بالبيعة .

ودخل عبد الله بن الزبير في أثر ذلك على أمه : فقال يا أُمه! خذلني الناس حتى أهلي وولدي ، ولم يبق معي إلا اليسير ، ومن لا دفع له أكثر من صبر ساعة من النهار . وقد أعطاني القوم ما أردت من الدنيا فما رأيك ؟ قالت: الله الله ! يا بني ! إن كنت تعلم أنك على حق تدعو إليه فامض فيه ولا تمكن من رقبتك غلمان بني أمية فيلعبوا بك . وإن كنت أردت الدنيا فبئس العبد أنت، أهلكت نفسك ومن معك . وإن قلت إني كنت على حق فلما وهن أصحابي ضعفت نيتي فليس هذا فعل الأحرار ، ولا من فيه خير ، كم خلودك في الدنيا؟ القتل أحسن ما يقع بك يا ابن الزبير . والله لضربة بالسيف في عز أحب إلي من ضربة بالسوط في ذل ، فقال : يا أُماه أخاف إن قتلني أهل الشام أن يمثلوا بي ويصلبوني . قالت : يا بني إن الشاة لا يضرها السلخ بعد الذبح ، فامض على بصيرتك واستعن بالله . فقبل رأسها وقال لها : هذا والله رأيي . والذي قمت به داعياً إلى الله ، والله ما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله عز وجل أن تهتك محارمه ، ولكني أحببت أن أطلع على رأيك، فيزيدني قوة وبصيرة مع قوتي وبصيرتي. والله ما تعمدت إتيان منكر ، ولا عملا بفاحشة، ولم أجر في حكم، ولم أغدر في أمان، ولم يبلغني عن عمالي حيف فرضيت به ، بل أنكرت ذلك . ولم يكن شيء عندي آثر

من رضاء ربي ، اللهم إني لا أقول ذلك تزكية لنفسي ولكني أقوله تعزية لأمي لتسلو عني ، فقالت : والله إني لأرجو أن يكون عزائي فيك جميلا : إن تقدمتني احتسبتك ، وإن ظفرت سررت بظفرك . أخرج حتّى انظر إلام يصير أمرك . ثم قالت :

اللهم ارحم طول ذلك القيام بالليل الطويل ، وذاك النحيب والظمأ في هواجر مكة والمدينة ، وبره بأمه . اللهم إني قد سلمت فيه لأمرك ، ورضيت فيه بقضائك ، فأثبني في عبد الله ثواب الشاكرين . قال : يا أُمه لا تدعي الدعاء لي قبل قتلي ولا بعده . فقالت : لن أدعه . فمن قتل علي باطل فقد قتلت على حق ، فتناول يدها ليقبلها وقال : جئت مودعاً ؛ لأني أرى هذا آخر أيامي من الدنيا . قالت : امض على بصيرتك ، وادن مني حتّى أودعك . فدنا منها فعانقته وقبلته . فوقعت يدها على الدرع . فقالت : ما هذا صنيع من يريد ما تريد ، فقال : ما لَبِستها إلا لأشد متنك . قالت إنها لا تشد متني . فنزعها ثم درج لمته ، وشد قميصه وجبته ، وخرج وقال لأصحابه : احملوا على بركة الله وليشغل كل منكم رجلا ، ولا يلهينكم السؤال عني فإني على الرعيل الأول ، ثم حمل عليهم حتّى بلغ بهم الحجون . وهناك رماه رجل من أهل الشام بحجر فأصاب وجهه ، فأخذته منه رعدة فدخل شعباً من شعاب مكة يستدمي ، فبصرت به مولاة له . فقالت : وا أمير المؤمنين ! فتكاثر عليه أعداؤه عند ذلك وقتلوه . وصلبه الحجاج وأقام جثمانه على الجذع . حتّى إذا أمر عبد الملك بإنزاله أخذته أُمه فغسلته بعد أن ذهبوا برأسه ثم كفنته وصلت عليه ودفنته (. رحمه الله ورحمنا .) .

المســـاواة
كما يراها الإسلام

لا تزال هناك أمور يحسن بحثها وربما كان في لقاء آخر بإذن الله لكنني سأتعرض وبسرعة لأمر طالما تحدث عنه الناس ، وطالما خدع بعضهم البعض الآخر بتمويه وجه الحقيقة فيه ، ذلكم هو المطالبة بالمساواة بين الرجل والمرأة . . وهو مطلب عادل إن كانت المساواة المطالب بها هي المساواة في دين الله . ذلك المبدأ الأزلي العظيم الذي يقتضي توزيع الحقوق والواجبات بين الرجال والنساء على سبيل التكافؤ ، أو المماثلة الواضحة في قول الله تعالى :

« وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ »(١٧) .

وما أوضحه القرآن الكريم من تقرير أن الرجل من المرأة والمرأة من الرجل في قوله تعالى :

« فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُم أَنِّى لَا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ »(١٨) .

أما حينما تتخذ المطالبة بالمساواة المزعومة مظهر التجاهل التام للفروق الواضحة بين الجنسين ، في الخلق ، والتكوين ، والموهبة ، والاستعداد فهي الخداع الواضح ،والقول المردود،فالله تعالى أعلم وأحكم بخلقه من خلقه . ساوى بينهم في عقيدتهم إذا أخلصوها لله ، وساوى بينهم في الثواب على أعمالهم الصالحة إذا تساووا في حجم الطاعة والإيمان بالله ، لكنه تعالى اختص

---

(١٧) الآية ٢٢٨ من سورة البقرة .

(١٨) الآية ١٩٥ من سورة آل عمران .

كل جنس بمواهب خاصة وقدرات معينة لا يقدر عليها غيره ، لتتم عمارة الكون ويمضي أمر الله في خلقه كما أراد ويريد . وكانت الإجابة القاطعة في ذلك فيما روى أن أم سلمة، زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعها نسوة قالت : ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الأجر مثل ما لهم . فنزل قوله سبحانه :

« وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا »(١٩).

وختام هذه الآية تأكيد واضح لما هو متقرر وراسخ من شمول علم الله بكل شيء . فهو العالم بعباده ، والمطلع على قدراتهم ونوازع نفوسهم ، وهو بعلمه الشامل الذي لا يشذ عنه شيء خلق الرجال ومنحهم ما يتلاءم مع دورهم في الحياة ،وخلق النساء ومنحهن ما يتلاءم مع دورهن، وكلا الدورين يمضيان قدماً بالإنسانية إلى مسيرتها في نظام بديع متقن . ولا تستقيم حياة الناس بدون الاعتراف بالحكمة الواضحة في كل ما تقع عليه العين من مخلوقات الله بشراً أو جماداً أو حيواناً ..

« أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ »(٢٠) .

بلى فهو يعلم من خلق قبل خلقه وبعد خلقه : يعلمه ويعلم ما يقيم حياته ، وما توسوس به نفسه . . والقائلون إن المساواة يجب أن تتم بين الجنسين في كل أمر ، حتى في القدرات والأعمال ، إنما يقولون ما لا دليل عليه من تكوين الفطرة ، ولا حتى من تجارب الأمم ، ولا من حكم المشاهدة والبداهة . بل قام الدليل على نقيضه في جميع هذه الاعتبارات ، ولم تتجاهل الأمم فوارق الجنسين إلا كان تجاهلها لها من قبيل تجاهل الطبيعة التي تضطر من

---

(١٩) الآية ٣٢ من سورة النساء .

(٢٠) الآية ١٤ من سورة الملك .

يتجاهلها إلى الاعتراف بها بعد حين ، ولو من قبيل الاعتراف بتقسيم العمل بين جنسين لم يخلقا مختلفين عبثاً بعد أن غبرت عليهما ألوف السنين . وأحرى أن يكون طول الزمن مع تطور الأحوال الاجتماعية سبباً لاختصاص كل منهما بوظيفة غير وظيفة الجنس الآخر ، ولا سيما في الخصائص التي تفترق فيها لغاية الحياة البيئية ، وكفاية الحياة الخارجة ، فإن طول الزمن لا يلغي الفوارق بل يزيدها ، ويجعل لكل منها موضعاً لا يشابه سواه . والأمثلة لا تحصى ، منها احتفاظ الرجل بالقدرة على بقاء وظيفة النسل به طليقة ما صلحت بنيته ، حتى المراحل الأخيرة من عمره ، بينما هي غير ذلك في المرأة ، حيث يندر أن تبقى لها تلك القدرة على التناسل بعد سن الخمسين ، وحتى في الأعمال التي انقطعت المرأة لها في غالب الأحوال كالطبخ ، وعمل الأزياء، وصناعة التجميل، ورثاء العزيز من الموتى؛ وهي أمور، يبدو أنها مما تختص به المرأة، لكن الرجل تغلب عليها من حيث القدرة على أدائها — والبراعة في ذلك . والقوامة التي وهبها الله للرجل على المرأة في قوله تعالى :

« الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ »(٢١) .

لا تعني تفضيل معدن الرجل على معدن المرأة ، فهما شقيقان ينحدران من نفس واحدة وهو تفضيل لا يغض من قدر إنسانية المرأة ، لأنه ناشيء من تفرقة عضوية بينها وبين الرجل لا من تفرقة في الجوهر والمعدن . . ومثل هذه التفرقة لا تستوجب الأسى عليها ، فإن فضل الله معقود بتزكية النفوس ، لا بتفرقة عضوية اقتضتها حكمة الله لضمان استدامة حياة البشر وتكاملها . وفي الشبيه من ذلك قول الله تعالى :

« وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بعْضٍ فِى الرِّزْقِ »(٢٢) .

فهل هذا التفضيل الإلهي النابع من الحكمة — التي قد يجهلها الكثيرون —

---

(٢١) الآية ٣٤ من سورة النساء .

(٢٢) الآية ٧١ من سورة النحل .

هل هذا التفضيل يؤدي إلى انتقاص قدر المفضول في الرزق عند الله إذا أخلص له وعمل من أجله ؟ اللهم لا . لكن من حكمته أن يخدم الناس بعضهم بعضاً. وهكذا، فالرجل يذهب في المجتمع ليحقق ما أراده الله له من انجازات ومهام . . والمرأة تذهب في المجتمع لتحقق ما أراده الله لها من أعمال ومهام. وهل هناك أعظم أو أسمى من دور المرأة في تربية أطفالها وإعدادهم إعداداً متكاملا لخوض معركة الحياة ؟ فالأطفال هم الشباب غداً ، وهم الرجال بعد غد . . إذا لم يجدوا بجوارهم أماً تحنو عليهم وتسبغ عليهم من عطفها وحمايتها ورعايتها ما هم بحاجة إليه ، فإنهم يتحولون إلى ما يشبه الدمي وتتكون عاداتهم وطبائعهم بعيداً عن القلوب التي تخفق بحبهم ، وتعمل من أجل تكوينهم . والمتناقضات التي يحياها شباب اليوم في كل مكان، أليس من المعتقد أن من الأسباب وراءها أنهم عاشوا حياتهم بعيدين عن أحضان أمهاتهم وصدورهن المليئة بالحب . . قضوها في دور الحضانة ، أو لدى مربيات يمارسن عملهن كما يمارس الموظف عملا يعتبره وسيلة لكسب عيشه دون أن يشعر بمتعة ممارسته له . . وكثيراً ما كنت أسائل نفسي : هل احتياج الأطفال ينحصر في إعطائهم أقداراً من الحليب ، ووضع الملابس على أجسامهم ؟ وهل يكفي ذلك ليكون الطفل سوياً متكامل المشاعر ؟ وأجد الإجابة واضحة ، في السلوك الماثل في واقع الأطفال الذين يحيون بين أحضان أمهاتهم وآبائهم وينعمون بحنانهم وحبهم . . وأولئك الذين حرموا من تلك النعمة وبالتالي لا يصعب على المرء أن يلحظ ما يكتنفهم من اضطراب ، وما يشمل حياتهم من شذوذ .

إن رسالة المرأة هي بناء الأسرة، وإدارة المنزل حتى تعيش مع أسرتها في جو هادىء مرح يبعث على النشاط المطلوب لاستمرار عمل الحياة. ولا يمنع من ذلك أن تعمل في حال احتياجها أو رغبتها في المجالات التي يمكنها أن تؤديها بلا مخالفة لطبيعة تكوينها ، وواقع استعدادها. والتي يمكنها أن تنجح في أدائها لاتفاقها مع إمكاناتها .

إن أي خروج على الطبيعة التي خلقها الله لنا ، وأودع فينا الاستجابة لانطلاقها يعتبر تعطيلا لحكمة الله في الخلق ، وسبباً للكثير من الآلام النفسية

والحسية ، ومؤدياً للكثير من المتاعب التي يعيشها الناس ، ولا سبيل إلى عودة السعادة وهناء الحياة وسكينتها ، إلا بالإذعان لحكمة الله وبديع خلقه ، وممارسة الحياة كما أرادها الله ويسرها .

جعلنا الله جميعاً من العاملين من أجله ، المحققين لرسالته ، ولا حرمنا من التعرف على جليل حكمته ، وبديع صنعه .

the care of nurses who practise their jobs as the employees of others who work for the sake of earning their living without feeling any pleasure in practising their jobs. I have frequently asked myself: "Are the needs of children solely restricted to supplying them with milk and clothing?"

Is this sufficient for the child to be normal and of equable passions? I find a clear answer in the difference in behaviour of chilren living under the care of their mothers and fathers and enjoying their kindness and love on the one hand, and of those deprived of this blessing. on the other hand; thus it is not difficult to notice their agitated passions and their eccentricities.

The duty of woman is to build up a family and to manage her house so as to live with her family in a relaxed and comfortable atmosphere that promotes the activity required for the continuity of life. This does not prevent her from doing work to satisfy a need or a desire, in fields where she can perform her duties without any violation of her nature and her character so as to fulfill them successfully according to her abilities.

Any infringement on the nature that God has created in us and made us respond to, is considered a hindrance against the wisdom of Allah in creation, a cause for great psychological and physical pain, and will surely lead to the various troubles people suffer from. There is no way to regain happiness, delight and comfort in life except through submission to the wisdom of Allah and His wonderful creation, and practising life as designed and facilitated by Him.

O Allah, let us all work to achieve Thy message, and let us not be deprived of the understanding of Thy glorious wisdom and marvellous deeds.

Because God has given
The one more (strength)
Than the other.(21)

Here we do not mean that the essence of man is preferred to that of woman, for they are twins descending from a single soul. Hence it is a preference that does not understimate woman's humanity, because it arises from an organic difference between woman and man and not from a difference in essence or substance. Such a distinction should not give rise to grief, because to be favoured by Allah is closely connected with the purification of souls and not with an organic difference ordained by Allah's wisdom to guarantee the continuity and integrity of the life of human-beings. Similar to this is His Almighty's saying:

God has bestowed His gifts
Of sustenance more freely on some
Of you than on others.(22)

Does this divine favouring that arose from Allah's wisdom, (that is unknown to many persons) lead to understimating those who have been excelled in provision, when they meet Allah, if they behaved devotedly towards Him? God forbid; yet His wisdom aimed at making people serve one another and thus man accomplishes, achieves and performs in society what God has destined. Woman, also, accomplishes deeds and duties God has destined for her. Is there anything greater or more exalted than the role of woman in bringing up her childern who are the youth of tomorrow and the men of after-tomorrow? If they do not find beside them a mother who is compassionate towards them, and who supplies their need for kindness, protection and care, they will become what might resemble dummies and their habits and nature will be detached from the hearts that pulsate with their love and are moved in their moulding. Is it not true that the causes of the unsuitable conditions in which the youth of today lives everywhere, are that these young people have passed their lives away from the care of their mothers and their bosoms that flood with love. They have passed their lives either in nurseries or under

(21) From Surat Al-Nissa (The Women) Verse No. 34.
(22) From Surat Al-Nahl (The Bee) Verse No. 71.

Should He not know,—
He that created?
And He is the One
That understands the finest
Mysteries (and) is
Well-acquainted (with them).(20)

Indeed, He knows what he has created before and after creating it. He knows it and the means for its subsistence, He knows even their inner thoughts.

Those who say that equality must be applied to both sexes in all aspects of life even in abilities and actions, are just saying words that can be proved neither through the formation of innate qualities, nor from the experience of nations nor through observation or intuition. In all such cases proof is based on its opposite, when nations ignored the difference between the two sexes, they, indeed, ignored nature. And those who ignored nature were obliged to acknowledge its truths afterwards, even though they acknowledged them just to evaluate the work of the two sexes, who were not created dissimilar in vain, after the passing of thousands of years. Here the length of time, and the evolution of social conditions were increasing the specialization of each sex in functions completely different from each other. In those properties in which ecological life and competency of outward behaviour differ purposely, we find that the length of time does not abolish differences but increases them and makes for each a position that is completely different, Examples are countless for example: man maintains his ability for procreation so long as his body is in good condition till the last phases in his life though it is not so with woman. Rarely, do we find a woman who maintains the ability to reproduce after the age of fifty. Even in activities where women have specialized, such as cooking, cutting-out clothes, beautification, walking at funerals though they seem to be woman's specialities — we find that man surpasses her in the ability to achieve them. Such excellence and guardianship that God has given to man over woman is in the saying:

Men are the protectors
And maintainers of women.

---

(20) From Surat Al-Mulk (Dominion) Verse No. 14.

obvious deceit and a refuted claim. For God Almighty knows (his creation) best, better than his creatures do. Allah maintains equity amongst them in their belief so long as they devote it to Allah. Also he has equalized the reward for their good deeds in the case of their being equal in obedience to God and in their faith towards Him. Yet, God Almighty has endowed each sex with certain characteristics and powers that none except Himself can endow, so as to populate the universe and to carry into effect his ordinances towards his creation as He wished and wishes. The decisive answer concerning this topic is to be found in the story of Umm Salama, wife of the Messenger of God, when she came upon him accompanied by a group of women and said: "Would that God had ordained that we strive as men do. Then we should have a similar reward." At this His glorious saying was revealed:

> And in no wise Covet
> Those things in which God
> Hath bestowed His gifts
> More freely on some of you
> Than on others: To men
> Is allotted what they earn,
> And to women what they earn:
> But ask God of His bounty,
> For God hath full knowledge
> Of all things.(19)

The closing words of this verse are a clear confirmation of what was previously determined concerning the comprehensiveness of God's knowledge. He knows well his own slaves and is cognizant of their abilities and inclinations. With His comprehensive knowledge that includes everything, he has created men and endowed them with what suits their role in life and created women and endowed them with what suits their own role. Both roles are promoting humanity throughout its progress in a marvelously contrived arrangement. The life of mankind would never progress without the acknowledgement of the obvious wisdom inherent in everything that the eye can see of Allah's creatures whether they be human-beings, animals or inanimate objects:

---

(19) From Surat Al-Nissa (The Women) Verse No. 32.

EQUALITY AS CONCEIVED BY ISLAM

THERE are many other topics to discuss. Though this may be done in another meeting, I will touch briefly upon a subject which has long been debated. People have also deceived each other by counterfeiting its reality. This topic is the call for equality between man and woman. It is a fair demand if the equality it calls for is that indicated in the religion of God; that pre-eminent immortal principle that ordains the distribution of rights and duties amongst both men and women with equity or with obvious similarity as shown in his Almighty saying:

And women shall have rights
Similar to the rights
Against them.(17)

The Glorious Qur'an has also pointed out that man and woman are of the same human status. This is shown in the saying of the Almighty:

And this Lord hath accepted
Of them, and answered them:
Never will I suffer to be last
The work of any of you
Be he male or female:
Ye are members, one of another.(18)

Yet when the call for this alleged equity takes the form of completely ignoring the obvious differences existing between the two sexes; in stature, physical formation, mental ability and character, it is, then,

---

(17) From Surat Al-Baqara (The Heifer) Verse No. 228.
(18) From Surat Al-Imran (Imran Family) Verse No. 195.

to the pleasure of God. I don't say this in praise of myself but in consolation to my mother, so that she might be comforted."

She said, "By God, I hope that my consolation in thee will be good. So if thou goest before me I shall be bereaved, and if thou return victorious I shall be glad of your victory. Go, so that I may see what your fate will be." Then she said: "O God have mercy on my sleeplessness during the long nights, on my groaning and thirst during the noontide in Mecca and Medina, and for his obedience to his mother. O God I have given him up at Thine order, and I comply to your Judgement, so reward me for Abdullah the reward of the thankful." He said, "O Mother, don't cease praying for my sake before or after my death in battle."

She said, "I'll never cease, for he who kills you is in the wrong, hence you are killed for truth." Then, he took her hand to kiss and said to her, "I have come to say farewell for I see that this is my last day in this world."

She said, "Then act according to your vision. Come nearer so that I may say farewell to thee." He came near to her and she embraced and kissed him. As she was doing so her hand touched the armour; she said to him, "This is not the conduct of a person who wants what you want." He answered, "I put it on only to strengthen your heart She said, "It doesn't strengthen my heart." So he put it off, and straightened his shirt and robe. On coming out he said to his companions: "Carry on, God bless you; each one of you should engage a man. Do not concern yourselves about me for I am following the way of the first forerunners." Then he led them till he reached El Higoon. There a Syrian threw a stone at him and injured his face. He began to shiver so he went through one of the mountain-paths of Mecca to bleed. There one of his bondmaids saw him and cried, "O Commander of the Faithful." Then his enemies crowded round him and killed him. El Hajjaj crucified him and set up his corpse on a tree trunk. When Abdul Malik gave orders to take his body down, El Zubeir's mother took his corpse, after they had cut off his head, washed and shrouded him, prayed over him then buried him. May God have mercy on him and on us.

Malik Bin Marawan began to resist him and succeeded in overthrowing him in Iraq. Then he (Marawan) armed El Hajjaj Bin Yossef who was able to oversway him till he reached holy Mecca. He surrounded Mecca and erected catapalts facing the honoured Kaaba and shot stones at it. At that time Asmaa, daughter of Abi Bakr, was at Koabah. Abdullah, having around him just a handful of his men, was fighting El Hajjaj's soldiers, with his back to the Kaaba. Meanwhile, El Hajjaj sent him messengers promising him wealth and safety if he stretched out his hand and swore fealty to him.

Thereupon, Abdullah Ibn El Zubeir went to his mother and said, "Mother, my people have forsaken me; even my kindred and children. I have but a handful of men who can resist no more than an hour. The enemy has offered me all I may have from this world. What do you say?"

She said, "O my son, my son. If you know that you are defending the truth, then carry on with the war and don't give your neck to the boys of Beni Ummaiah to play with. Yet, if you want this world, then you are the worst slave you have destroyed yourself and those who are with you. If you say "I have been standing up for the truth, but when my companions became feeble, my determination also wavered", know then that this is not the behaviour of free men or those in whom we may find some good. How long will you last in this world? Death is the best thing that could happen to you, you son of Zuzeir. By God, a stroke from a sword taken with pride is far better than a lash with a whip suffered in humiliation." He said, "Yet, I fear, Mother that the people of Syria would mutilate and crucify me if they killed me." She answered, "O my son skinning a sheep after slaying it does not harm it. So go on according to your vision with the help of Allah." He kissed her head and said to her "By God, this is also my opinion with the help of which I have called to God. I swear that I have never fought except when my anger provoked me on seeing the sacred things of the Almighty violated. Yet I wanted to know your opinion so that it might endow me with more strength and vision to add to mine. I swear that I have never committed an act of abomination intentionally, nor have I been guilty of lewdness. I have committed no injustice in issuing a sentence, and never betrayed a trust. I have never known of injustice done by my agents and approved it. Nothing have I prefer

This verse, as you see, illustrates clearly the splendid pattern that should comprise the realities of both husband and wife in Islam, and the example which both of them should conform to; and the realisation that love alone is not the only justification for the continuity of matrimony.

Omar Ibn El Khattab, God bless him, asked a man who divorced his wife this question, "Why have you divorced her?" He said, "I don't love her." Omar said, "Are all homes set up on love alone? what about guardianship and obligations"?

Islam has given to woman the respect due to a mother. The Glorious Koran coupled the rights of the Almighty with those of parents in the Almighty's saying,"

Show gratitude
To me and to thy parents;
I am (thy final) destination. (15)

The Almighty also said,
Treat with kindness
Your parents.(16)

When a man came to the Prophet, (peace be upon him) and told him. "O Messenger of God, among all mankind who is primarily entitled to my companionship? The Messenger of God said, "Your mother", "Who next?" asked the man. "Your mother", the Messenger of God answered. "Who next?", the man asked. "Your mother", the Messenger of God replied once more. "Who next?", the man asked again "Your father", the Messenger of God replied.

The comrades of the Messenger of God and their followers were continually obedient to their mothers and benevolent towards them according to the orders of Allah and His Messenger. An example of this is the conversation between Abdullah Ibn El Zubeir and his mother Asmaa daughter of Abi Bakur, (God bless both of them) when Iraq, Hijaz and Yemen were subjugated by Abdullah Ibn Al-Zubair. Abdul

---

(15) From Surat Luqman (The Wise) Verse No. 14.
(15) From Surat Al-Bawara (The Heifer) Verse No. 83.

The Prophet (peace be upon him) said, "The best among you is the best towards his kin and I am the best towards my kin."

The Prophet, (peace be on him) allowed some Abyssinian youths to play with their spears in front of him in the mosque and then called Ayeshah, (God bless her) and lowered his shoulders to her, covered her face with his hands and gave her the chance to watch them till she grew tired.

Ibn Abd Rabbh told of Ayeshah's experience when the Messenger of God, (peace be upon him) came to her and said: "Have you shown the girl the way to her husband? Ayeshah answered in the affirmative. He asked, "Have you sent with her someone who can sing?" Ayeshah said, "No". He said; "Don't you know that the Ansar (Helpers) like love songs? You should have sent with her someone who would say, "We have come to thee, we have come to thee

Wlecome us, we welcome thee.
Unless there is Corn,
We shouldn't have come to thy vale."

Al-Bukhary told of the occasion when Al-Rabiea the daughter of Muawath said: "The Prophet, (peace be on him) entered the dwelling place of Beni Ali and sat on a bed. Some of the bond maids were told to beat tambourines, till one of them said, 'Among us is a Prophet who knows what will happen tomorrow'. To this he replied 'Don't talk about that, go on with what you were doing."

The Almighty Creator has regularized the relationship between husband and wife in His saying,

Live with them
on a footing of kindness and equity
If ye take a dislike to them
It may be that ye dislike
A thing, through which
God brings a great deal of good.(14)

---

(14) From Surat Al-Nissa (The Women) Verse No. 19.

The Arabs were contemptuous of a father who played with his baby daughter and allowed her to play in his presence; but the Messenger of God, (peace be upon him) played with his own baby daughters and with those of his Comrades. El Bukhari told the story of Abi Katadah who said, "The Prophet (peace be upon him) came out carrying the daughter of Abi El-Rass, and he prayed; so when he knelt he put her down and when he got up he lifted her up again." Ayesheh, (God bless her) said, "A woman came to me with her two daughters asking for charity. I found only one dried-date so I gave it to her. She divided it two halves between her two daughters; then she went out. When the Prophet, (peace be upon him) came in, I told him of what had happened. He said, 'That person who is tested by those girls, will find in them a protection against Hell-fire." He also said of his daughter Fatima, (God bless her), "Fatima is part of me; what hurts her hurts me, and what gladdens her gladdens me." El Zuhari said, "The comrades of the Messenger of God, found it unnecessary to impose the offering of alms on a father of three daughters or to require him to take part in holy wars 'Jihad' because of their need for him and his being busy with their affairs, education and care." Islam has also welcomed and honoured woman in her role as wife. The Almighty said:

> And among his Signs
> Is this, that He created
> For you mates from
> Yourselves, that ye may
> Dwell in tranquillity with them;
> And He put love
> And mercy between you.
> Verily in that are Signs
> For those who reflect.(12)

He also defined the nature of the relationship between husband and wife when He said:

> Consort with them in Kindness.(13)

---

(12) From Surat Al-Rum (The Roman) Verse No. 21.

(13) From Surat Al-Nissa (The Women) Verse No. 19.

THE CONCEPT OF TRUE CARE GIVEN TO WOMAN

A SPEECH about Islam, giving the woman's case in full and granting her a most appropriate position could be endless. It cannot be ignored by those who have an understanding of the Book of the Almighty and of the traditions of his Messenger, (peace be upon him. If I were to continue to illustrate this with proofs and evidence, I would weary you, Hence I shall be brief, so as to be able to deal with every aspect of this subject. This will be in appreciation of the religion of God that comprises all virtues, and as an incentive to our sons and grandsons to have faith in their religion and to feel proud of being its followers and of being able to defend it. Islam welcomes woman with kindness at the beginning of her life and protects her existence throughout its different phases. Islam welcomes her at the beginning of her life as a baby as when it censured and prohibited the burying of girl-children alive in the words of the Almighty:

> Lost are those who from folly, without knowledge, slay
> Their children,
> and forbid
> Food which God hath provided
> For them, inventing a lie
> Against God. They have
> Indeed gone astray
> And heeded no guidance.(11)

When Kais El Minkary was speaking in the presence of the Prophet, (peace be upon him) about the girl-children he had buried alive — his victims were twelve in number, the Prophet, (peace be upon him) said, "That man who doth not show mercy will not be shown any", and ordered him to set free one believing bond-maid as a restitution for each.

(11) From Surat Al-Anam (The Cattle) Verse No. 140.

Nor should ye treat them
with harshness, that ye may
Take away part of the dower
Ye have given them, — except
where they have been guilty
Of open lewdness;(10)

Thus it was forbidden that a man should keep her against her own will, and it was considered a kind of compulsion to force her to redeem herself with what remained of her dowry unless she was guilty of flagrant lewdness. For in such a case she had no right to ask for or to make concessions.

(10) Ibid.

a girl who came to her and said: "My father married me to his nephew and tried to palliate his meanness yet I hate him. Ayesheh said, "Sit down till the Messenger of God, (peace be upon him) comes." When he came she told him, so he sent for her father.

He gave the girl the right to decide. She said, "O Messenger of God, now, I accept what my father has done; but I wanted to let women be informed that parents have no right in such a matter. "There is also the story of Barierah, the Abyssinian bondmaid who was owned by Atabah Ibn Abi Lahab who married her to one of the slaves of Maghirh. Barierah would not have accepted him if she had had the right to decide. Ayesheh, mother of believers, pitied her, so she bought her and set her free. The Messenger of God said to her, "now you are your own mistress so you can choose." Meanwhile her husband walked after her weeping yet she rejected him. The Prophet, (peace be upon him) said to his comrades: "Do you not feel astonished at his extreme love for her and her hatred towards him? "Then he said to her: "Fear God, he is your husband and thy son's father." She said, "Do you order me? He answered, "No, I am just interceding". She said, "Then, I need him not". A woman has also absolute freedom in her property without any interference or domination.

During the pre-Islamic era, the nearest relative of the deceased Arab who was entitled to inherit from him, would put his garment on the deceased man's wife, and would say, "She is mine." Thus if he wished he could marry her or let her be married to someone else, and would have her dowry; or he could put constraint upon her sothat she would have had to redeem herself by paying him what she had inherited from her husband. Islam forbade this, dealt justly with her and gave her freedom the Almighy says:

Ye who believe
Ye are forbidden to inherit
Women against their will.(9)

The Almighty, on the occasion of giving freedom to women, spoke to their husbands.

---

(9) From Surat Al-Nisa (the Women) Verse No. 9.

The Almighty has imposed three penalties on the accuser; namely, scourging, then refusing his testimony and never accepting it afterwards, and finally considering him a man of evil, which is one of the most detestable and abhorrent attributes. The Almighty says also in the following verse:

i. Those who slander chaste women,
Who may be indiscreet but are believing,
Are cursed in their life
And in the Hereafter:
Theirs is a grievous penalty,—

ii. On the Day when their tongues,
Their hands, and their feet
will bear witness against them
As to their actions.

iii. On that Day God
will pay them back
(All their just dues,
And they will realise
That God is
The (very) truth,
That makes all things manifest.(8)

Islam has also given women freedom in two respects; namely, marriage and property. No one has the right to force her to marry someone whom she does not like. She has also the right to refuse whom she does not approve of. The Messenger of God (peace be upon him) has pointed this out by saying: "Marry not a widow without her consent, nor a virgin without her permission." The Prophet, (peace be upon him) once annulled a marriage in which a virgin was forced to marry her cousin under pressure from her father for his own benefit. In the narration about women Ayesheh, (May God bless her) told of

---

(8) From Surat Al-Nur (The Light) Verses No. 23, 24, 25.

also went to the Messenger of God when he was on his way to Kheybar and said to him, "I want to accompany you wherever you are going. I can provide water, nurse the patients and the wounded if there are any wounds — which God forbid — and keep an eye on the luggage." The Phophet, (peace be on him) said: "Go and God bless you. You have companions who asked me if they could do the same thing and I have given them permission. They belong to your own kindred and to other families so if you wish you can be with your own kindred or with ours" The woman said: "I'll go with you." He answered, "Then, be with Umm Salmah my wife." So she went with her and with many others.

Woman in Islam, as well as prior to it, protected the fugitive and relieved the sufferer. Umm Hani daughter of Abi Talib granted asylum to two men, relatives of her father-in-law, who were wanted for execution. She said concerning this, when the Messenger of God reached the highlands of Mecca, "Two men, relatives of my father-in-law from Beni Maghzoum had asked for my protection, but Aly Ibn Abi Talib entered my house and said: 'I swear to kill them.' But I shut my door to protect them and went to the Messenger of God, (peace be upon him). He said: 'Welcome Umm Hani — what tidings have brought you here?' I told him the story of the two men and Aly. He said: 'We protect whom you protect, Umm Hani'."

Islam also has maintained the dignity of woman and protected her honour perfectly. God Almighty said concerning those who malign honourable women:

And those who launch
A charge against chaste women,
And produce not four witnesses,
(To support their allegations),—
Flog them with eighty lashes:
And reject their evidence
Ever after; for such men
Are wicked transgressors;(7)

---

(7) From Surat Al-Nur (The Light) Verse No. 4.

It is the degree of care, guardianship, and protection. It does not permit man to trespass upon her rights or to tread upon her dignity. "Moslem" in his narration about Asmaa daughter of Yazid, said, "She went to the Prophet (peace be upon him) while he was sitting with his companions and said to him, "I would sacrifice my father and mother for thy sake O messenger of God. I am the messenger of women to thee. God Almighty hath sent thee to all men and women. We believed in thee and in thy God. We women are secluded and live in privacy, keep to our homes, bear your children, while ye men are better than us by keeping Friday congregational prayers, by grouping together, visiting patients, attending funerals and performing one pilgrimage after another. Far better than that, is fighting for the sake of the Almighty, Jihad. When any one of you goes out on pilgrimage, visits Mecca or goes for Jihad holy war we take care of your property, spin your clothes, and look after your children: therefore haven't we the right to share with you the reward and the good? The Prophet (peace be upon him) turned his face round towards his companions and said: "Have you ever heard a woman inquire about her religion better than this? They said, "O Messenger of God, we never thought that a woman could state the matter in a better way than this." The Prophet, (peace be upon him) turned towards her and said. "Understand O woman and inform those women who have sent you that a woman's devotion to her husband, seeking to propitiate him and performing whatever satisfies him is equal to all that." The woman went off rejoicing till she reached her kindred among women and narrated to them what the Messenger of God, (peace be upon him) had told her, so they became glad and all of them became believers. Ayeshah, (may Allah bless her) was asked about what the Prophet, (peace be upon him) did at home. She said, "He did what his family did till he went out for prayers." She meant that he helped them and worked with them.

Virtuous women used to accompany the Messenger of God, (peace be upon him) during his campaigns. They took care of patients, nursed the wounded and carried water. Among them was Ummayah El Ghafjareyah daughter of Kais, who said: "I went to the Messenger of God, (peace be upon him) accompanied by a group of women from Beni Khaffar and said to him: "O Messenger of God we want to accompany you to your destination (he was going towards Kheybar) so as to nurse the wounded and help Moslems in the best way we can. He answered "Go, and God bless you" Umm Sinan El Aslamich

Enter ye the graden,
Ye and your wives,
In (beauty and) rejoicing.(4)

Before Islam, it was not the custom for Arabs tô bequeath anything to women and they said "None inherits from us except that one who bears the sword and defends our homelands." Thus when a man died his son inherited his goods and if he had no son, his heir would be one of his kin, whether it be his father, brother or uncle.

Islam came and abolished this injustice towards women. The Almighty said:

From what is left by parents
And those nearest related
There is a share for men
And a share for women,
Whether the property be small
Or large, — a determined share.(5)

A series of merciful humanitarian attitudes on the part of the Prophet towards women in different circumstances was adopted. Imam El Bukhari narrated that Saad Ibn Abi Wakkas said, "I was so ill at Mecca that I was about to die. The Prophet, (peace be on him), came to visit me. I said to him: Oh messenger of Allah, I have much money and I have no one to inherit it except my daughter, may I give away as alms two-thirds of it? He said "No." I said "Then half of it?" He said "No", I said "Then one-third. He said, "one third though it is too much. To leave your children rich is better than leaving poor begging from others. You will spend nothing without recompense; even a morsel of bread given to your wife will be recompensed."

The Almighty said,

And women shall have rights
Similar to the rights
Of men, and men are a degree above them, according
To what is equitable;(6)

---

(4) From Surat Al-Zukhruf (Ornament) Verse No. 70.
(5) From Surat Al-Nissa (The Woman) Verse No. 7.
(6) From Surat Al-Baqara (The Heifer) Verse No. 228.

He has had.
Shall he retain it
On (Sufference and) contempt,
Or bury it in the dust,
Ah! What an evil (choice)
They decided on?(1)

God sent Mohammed (The best prayers be upon him) with his sublime reforming call; he stopped the series of injustices committed against women, and delimited her natural place for her. He announced that woman and man are equal according to Allah's religion. God revealed to him His Holy Book that declares clearly, in more than one passage, this clear concept. God Almighty said:

Mankind! reverence
your Guardian — Lord,
Who created you
from a single person,
Created, of like nature,
His mate, and from them twain
Scattered (like seeds)
Countless men and women.(2)

God Almighty too, said:

Whœver works righteousness,
Man or woman, and has faith,
Verily, to him will We give
A new life, a life
That is good and pure, and We
will bestow on such their reward
According to the best
Of this action.(3)

"On the Day of Resurrection dutiful men and their wives are called in these words."

---

(1) From Surat Al-Nahl (the Bee) Verses No. 58-59.
(2) From Surat Al-Nissa (The Woman) Verses No. 1.
(3) From Surat Al-Nahl (The Bee) Verse No. 97.

PROLOGUE

THE SUBJECT of my discourse is a review of the way in which our great Islamic religion deals with woman... Is it unjust to her, or destructive to her ambitions? Does it bar her from contributing to her own life and having a say in it? Or, on the other hand, does it elevate her, main.ain her dignity, and guard her against degradation and the deterioration of her condition?

This, as you know, is a wide subject with many aspects, yet I will try to be brief so as to save your time and to give an opportunity to those much more able than myself to discuss it more comprehensively because it does deserve reiteration and it does need comprehension so as to be clear to all those who forget and neglect it or are deceived by facile views and utterances.

WOMAN IN OLDEN TIMES

WOMAN never occupied her rightful position during any period throughout ancient history. Nations differed only in the degree of neglect and violation of her rights. The last example of this attitude was that of the Arab Nation before Islam. They buried girls alive for fear of shame and to avoid having to support them. This was, indeed, exceedingly cruel. The father deliberately, buried his daughter alive. She perished under the sand at the hands of her closest relative.

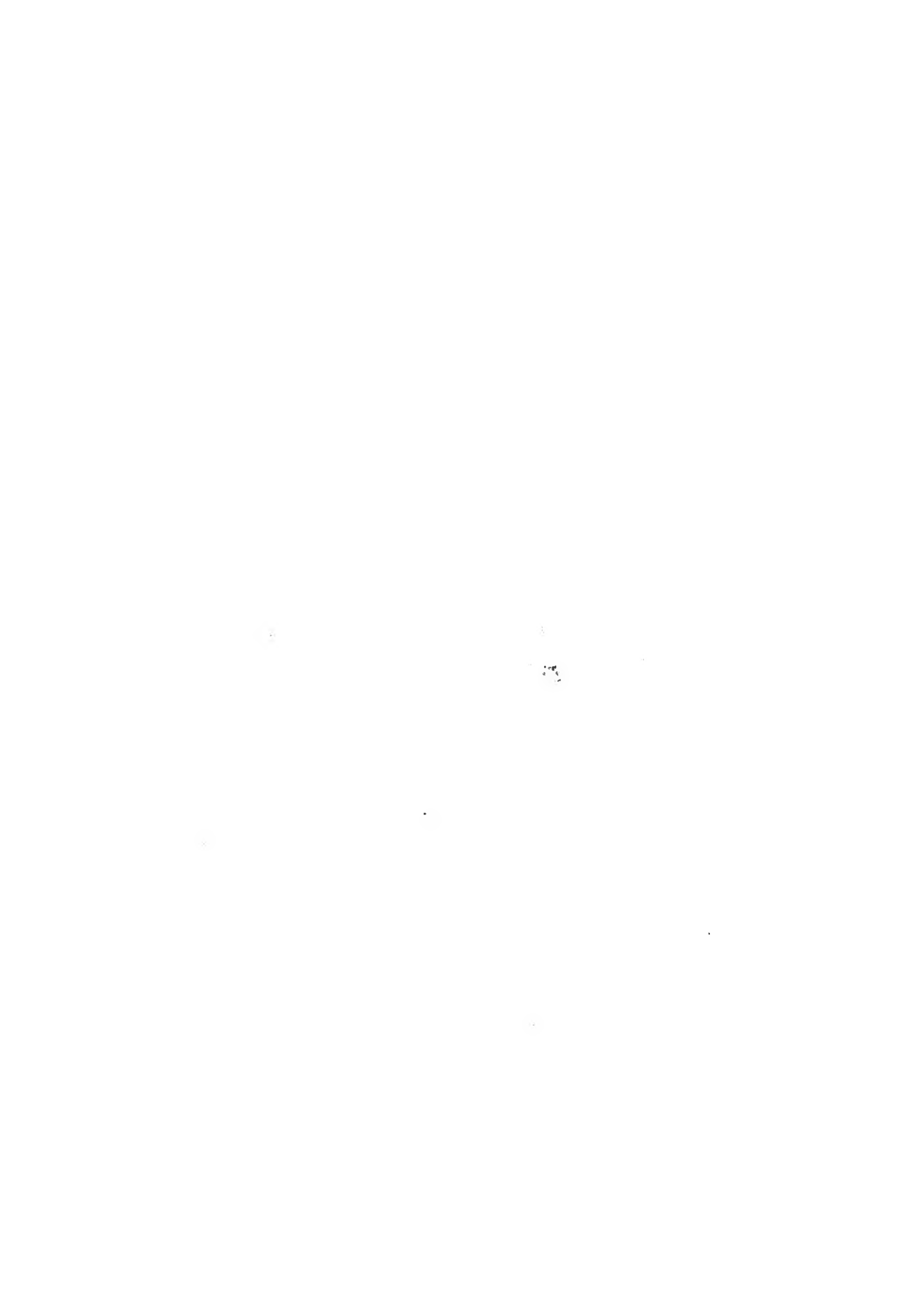
God Almighty said about this:

i. When news is brought
To one of them, of (The birth
of) a female (child), his face
Darkens, and he is filled
with inward grief.

ii. With shame does he hides
Himself from his people
Because of the bad news

HASSAN BEN ABDULLAH AL-EL SHEIKH

THE PLACE of WOMAN in ISLAM



IN THE NAME OF ALLAH,

MOST GRACIOUS, MOST MERCIFUL.

HASSAN BEN ABDULLAH AL-EL SHEIKH



THE PLACE of WOMAN in ISLAM